

سمات دعوة الإمام

مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

رحمه الله تعالى



تأليف

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان ستدي

أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

سلسلة طباعة الكتب السلفية (20)

طبع على نفقة شباب الفحيحيل

سمات دعوة الإمام
محمد بن عبد الوهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

سمات دعوة الإمام
محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي
أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة

الحمدُ لله الذي جعل في كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ،
بَقَايَا مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى،
وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى،
وَيُبْصِرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ
أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثْرَهُمْ
عَلَى النَّاسِ وَأَقْبَحَ أَثْرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، يَنْفُونَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ
تَحْرِيفَ الْعَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ.

وصلى الله وسلم على البشير النذير، والسراج
المنير، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على
منهاجهم إلى يوم المصير، أما بعد^(١):

فإن من نعم الله المتتابة؛ أن قيَّضَ لهذا الدِّينِ

(١) أصل هذه الأوراق محاضرة ألقى في مدينة الرياض - جامع الإمام
تركي بن عبد الله - في ٢٠/١٠/١٤٣٣هـ.

عَصَابَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ الْمُوَحِّدِينَ، فَوْقَهُمْ إِلَى التَّمَسُّكِ بِعُرْوَتِهِ
الْوُثْقَى وَحَبْلِهِ الْمَتِينِ؛ فَلَمْ يَزَالُوا لِلْحَقِّ نَاطِرِينَ، وَبِهِ
ظَاهِرِينَ، وَلِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ نَاصِرِينَ، وَلِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ
دَامِغِينَ.

وإن من أعلام أولئك الميامين في القرن الثاني عشر
الهجري فما بعد: الأئمة العظام؛ أئمة الدعوة الإصلاحية؛
الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناءه وأحفاده وتلاميذه
وتلاميذتهم - رحمهم الله رحمةً واسعة -، فإنهم قد نهضوا
بدعوة سلفية على منهج النبوة، كانت امتداداً للإسلام
الحق بصفائه ونقاؤه، أشرق ضياؤها في قلب الجزيرة
العربية، وامتد نورها إلى مشارق الأرض ومغاربها.

ولدت هذه الدعوة المباركة؛ والبيئة المحيطة بها
مرگبة من الجهالة والخرافة والضعف والتفرق، فأنعشتها
وهذبته وجمعتها.

بدأ الشيخ المجدد دعوته يجاهد بلسانه وقلمه في
حدود طاقته، إلى أن جمع الله ﷻ بينه وبين الإمام
المبجل محمد بن سعود؛ فأمن صاحب الشوكة صاحب
الدعوة، وأزره ونصره؛ فقام بما أمره الله به لا تأخذه فيه
لومة لائم؛ فقطع الأشجار التي يُعتقد فيها، وهدم

الأضرحة التي يُلجأ إليها، وأقام الحدود، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

فعاداه علماء السوء، وزُعماء السوء، وأشاعوا عنه قالة السوء، ورموه بالزيف والزندقة، وأغروا به السفهاء، وألبوا عليه وعلى دعوته.

وهذا هو الشَّان مع كل الدُّعاة الصَّادِقِين من الأنبياء فمن بعدهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، ولكن الله شاء لهذه الدعوة أن تنتشر، ولناصرها أن ينتصر، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، فأين أعداؤها والمؤلَّبون عليها إذ ذاك؟ لقد فنوا وبقيت، وتلاشوا وازدادت تألُّفاً، ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

إذا أردتُ أن أصف هذه الدعوة الإصلاحية وصفاً صادقاً موجزاً فإني أقول:

إنها صورة مشرقة للإسلام النقي الذي نزل به القرآن وعرفه المسلمون قبل أن تَفْشُوا بينهم الأهواء.

فقد جدَّدت الدِّين بعد دُرُوسِهِ، وقطعت أُصُولَ الشُّرك بعد غُرُوسِهِ.

إنها ثورة .. ثورة على الجَهالات والخُرافات والظُّلم والدَّجل، إنها صَوْتُ راعِدٍ أذكى الحماسة الدينية، وأهَبَ الغيرةَ الإيمانية، فأيقظ عُقُولاً نَاعِسَةً، ونبهَ هِمَمًا مُتَدَنِّيةً.

خُلاصَةُ هذه الدعوة: أن يكون المسلم عزيزًا بربه؛ فلا يعرف الذُّلَّ إلا له، ولا الخوف إلا منه، ولا الفزع إلا إليه؛ فإن أكبر جِنَاية على وجه الأرض أن يُخضع بالعبادة لِسِوَاه.

لقد بيَّنت هذه الدعوة أن السَّبب الذي صيَّر النَّاس يستلِينُونَ فراش الهوان: إشراكُهُم مَعَ الله غيره في خَالِص حَقِّه، وما يَقْتَرِفُونَ على عَتَبَات الأولياء مما تجار منه الأرض والسَّماء!

إنها دعوةٌ تَأبى الابتِدَاع في الدين أشدَّ الإِبَاء، وتُحارب المحدثات أشدَّ المحاربة، وتعتقد أن دين الله ﷻ أجل من أن يكون عُرضَةً لمزجِه بآراء البشر، وأن تُشوّه محاسِنُهُ بأهوائِهِم.

أما عن سمات هذه الدعوة ومُميزاتها فكثيرة، يُمكن أن أُلخِّصَ أبرزَها فيما يأتي، ولعلَّ الله ﷻ أن يبعث في دُعاةِ اليوم هِمَّةً كتلك الهِمَّة ونشاطًا كذاكَ النَّشاط.



السمة الأولى لهذه الدعوة المباركة

أن الدعوة إلى التوحيد والتَّحذير من ضده ديدنُ أئمةِ الدعوة - الشيخ فمن بعده، عليهم رحمة الله - وهجَّيرَاهُم، والشُّغل الشَّاغل لهم، وأكبرُ قَضِيَّةٍ في دَعْوَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ.

كَانَ الْإِمَامُ الْمَجْدِدُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَبْعَثُ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ الصُّبْحِ وَبَيْنَ الْعِشَاءِ مَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ وَيَسْأَلُهُمْ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ بَشَرَ - ^(١) عَنِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ رَسُولِهِ ﷺ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدْلَةِ، وَمَا يَنْبَغِي عَلَى الْعِبَادِ لِلَّهِ ﷻ مِنَ الْعِبَادَةِ، مَعَ التَّحذِيرِ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ، فَعَرَفَ النَّاسَ - الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ - التَّوْحِيدَ، وَاسْتَقَرَّ فِي قُلُوبِهِمْ.

مَا كَانَ أئِمَّةُ الدَّعْوَةِ يَكْتَفُونَ بِخُطْبَةٍ يَتِيمَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ عَابِرَةٍ أَوْ دَرَسٍ وَاحِدٍ ضَمَّنَ عَشْرَاتِ الدُّرُوسِ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ

(١) في: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/١٤، ٩٠).

عَنِ التَّوْحِيدِ؛ كَلَامًا! بَلْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ عَنِ التَّوْحِيدِ صَبَاحَ مَسَاءٍ؛ بَلْ حَتَّى لَوْ تَكَلَّمَ أَحَدُهُمْ فِي غَيْرِ فَنِّ التَّوْحِيدِ فَإِنَّهُ غَالِبًا مَا يَعْجِزُ عَلَيْهِ؛ فَلَوْ تَكَلَّمَ فِي الظُّهْرَةِ أَوْ السَّيْرَةِ أَوْ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ يَتَلَمَّسُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُفِيدَ فِي هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ.

وَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ هَذِهِ الْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ: أَنْ أُرْسَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُبَارَكَةُ دَعَائِمَ عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَقَامَ بِسَبَبِهَا عَلَى سُوقِهِ، فَفُعِدَتْ قَوَاعِدُهُ، وَضُبِطَتْ ضَوَابِطُهُ، وَبَيِّنَتْ الشُّرُوطُ وَالْأَرْكَانُ، وَذُكِرَتِ التَّقَاسِيمُ وَالْأَنْوَاعُ؛ فَكَانَتْ مُدُونَاتُهَا - بِحَقِّ - أَنْفَعًا مَا كُتِبَ فِي تَعَلُّمِ التَّوْحِيدِ وَتَعْلِيمِهِ.

كَمَا تَمَيَّزَتْ دَعْوَةُ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ بِكَوْنِهَا دَعْوَةً تَفْصِيلِيَّةً لَا إِجْمَالِيَّةً؛ جَلَّتْ أَفْرَادَهُ، وَأَبْرَزَتْ دَقَائِقَهُ، وَحَذَرَتْ مِنْ جَلِيِّ الشَّرْكِ وَخَفِيِّهِ، فَعَمَّ نَفْعُهَا وَعَظُمَتْ بَرَكَتُهَا.

كَمَا تَمَيَّزَتْ بِعِنَايَتِهَا بِأَصْلٍ أَصِيلٍ وَقَاعِدَةٍ رَاسِخَةٍ فِي الشَّرْعِ؛ أَلَا وَهِيَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ إِلَى الشَّرْكِ، وَحِمَايَةُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ؛ فَأَبَدَتْ فِيهَا وَأَعَادَتْ، وَوَضَحَتْهَا تَمَامَ الْإِيضَاحِ، وَبَيَّنَتْ مَا يَنْدَرُجُ تَحْتِهَا مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ اجْتِنَابُهُ مِنْ الذَّرَائِعِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ لِتَحَقُّقِ الْعَبْدِ لِتَوْحِيدِهِ.

يُضَافُ إِلَى مَا سَبَقَ: أَنَّ أُمَّةَ الدَّعْوَةِ كَانُوا يُكْثِرُونَ
 مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ مُمَهَّدَتَيْنِ لِقَبُولِ التَّوْحِيدِ:
 الْأُولَى: أَنَّ الرِّجَالَ يُعْرِفُونَ بِالْحَقِّ، وَليْسَ أَنَّ الْحَقَّ
 يُعْرِفُ بِالرِّجَالِ.

الثَّانِيَّةُ: إِزَالَةُ شُبُهَةِ الاسْتِدْلَالِ بِكَثْرَةِ النَّاسِ عَلَى
 الْحَقِّ؛ فَكَوْنُ الْأَكْثَرِ عَلَى قَوْلٍ أَوْ عَلَى رَأْيٍ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنَّ
 يَكُونُ هُوَ الْحَقَّ، إِنَّمَا الْحَقُّ يُطْلَبُ مِنْ مَطَانِّهِ؛ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
 وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَيُلْتَزَمُ بِهِ وَإِنْ كَانَ الْآخِذُ بِهِ قَلِيلًا.
 وَبِالْقِنَاعَةِ بِهَاتَيْنِ الْقَاعِدَتَيْنِ يَسْهُلُ عَلَى النَّفْسِ قَبُولُ
 التَّوْحِيدِ وَالتَّخَلُّقِ بِهِيَ عَنِ ضِدِّهِ.

إِنَّهَا دَعْوَةٌ فَرِيدَةٌ؛ أَحْسَنْتَ فَهَمَّ الْوَاقِعِ، وَقَرَأْتَ
 الْحَالَ؛ فَعَرَفْتَ الدَّاءَ؛ فَشَخَّصْتَ الدَّوَاءَ.



السمة الثانية لهذه الدعوة المباركة

أنها تميزت بكونها مُتَجَرِّدَةً عن أيِّ هوى أو عصبية؛ لِعِرْقٍ أو لِمَذْهَبٍ أو لِإِمَامٍ؛ بل مبدؤها ومُنْتَهَاهَا، ومورِدُهَا ومصدرُهَا: كتاب الله وسُنَّةُ رَسُوْلِهِ ﷺ، فَوَحَّدَتِ الْكَلِمَةَ على كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَرَبَّتِ النَّاسَ على التَّجَرُّدِ لِلنُّصُوصِ؛ فلم تُعَلِّقْهُمْ بِقِيَادَاتٍ، أو تَحْزِيبُهُمْ على أَشْخَاصٍ، أو تَعَقُّدٍ ولاءهم على انتماءات - كما هو الشَّانُ في الدَّعَوَاتِ ذاتِ الْحِزْبِيَّاتِ الضَّيِّقَةِ وَالْمَنَاهِجِ الْمُحَدَّثَةِ - .

إن أصل المَوَالاةِ والمَعَادَاةِ سِمَةٌ بارزة في نَهْجِ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ؛ غير أنه لم يَكُنْ مَعْقُودًا إِلَّا على أساس التَّوْحِيدِ وَالْحُبِّ في الله وَالْبُغْضِ في الله، وهذا أوثقُ عُرى الإِيْمَانِ.



السمة الثالثة لهذه الدعوة المباركة

ألا وهي: الشَّجَاعَةُ، والحِزْمُ، والوَضُوحُ.

لقد كان ثَمَّة دُعَاةٌ للتوحيد قَبْلَ الدعوة وفي ابتِدَائِهَا وبعد نشأتِهَا؛ لكن خاصِّية هذه الدعوة: الشَّجَاعَةُ والحِزْمُ والوَضُوحُ، أو كما يُقَالُ - في اللسان المعاصر - : إنها وضعت النقاط على الحروف؛ فأعطت كل ذي حقَّ حَقَّهُ، ووضعت الهدى والضلال في محلِّهما بِدَقَّةٍ، ووصفتُهما بما يليق بهما دون إعْجَامٍ، فلم يقل دعائها في قول أو فعل شُرْكي - مثلاً - : لا يَنْبَغِي أو لا يَجُوز؛ بل قَالُوا - بوضوح - : هذا شِرْكٌ أكبرُ مُخْرَجٍ مِنَ الملة، مُخْلَدٍ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ.

فانظُر - يا رعاكَ اللهُ - أثر هذا الوضُوح في نفوس النَّاسِ، وما أحوَجهم إليه اليوم .



السِّمَةُ الرَّابِعَةُ لهذه الدعوة المباركة

أنها دَعْوَةٌ انتَهجت الحِكمة، وراعت المصلحة.

فحينما يقال: إنها دَعْوَةٌ شُجَاعَةٌ صَدَّاعَةٌ بالحق؛ فَإِنَّ هذا كان يتوازي مَعَ التَّزام الحِكمة ورِعاية المصلحة.

مِنْ شَوَاهِدِ هذا: ما كان عليه الشَّيخ المجدِّد رَحِمَهُ اللهُ فِي أولِ دَعْوَتِهِ قبل أن تَقوى وَيَصْلُبَ عُوْدَهَا؛ حيث كان يَقِفُ على من يُشْرِكُ بالله رَضِيَ اللهُ عَنْكَ عند قَبْرِ زَيْدِ بنِ الخُطَّابِ فيقول: اللهُ خَيْرٌ مِنْ زَيْدٍ^(١). ثم يَمْضِي.

انظُرْ إلى الحِكمة؛ لم يَكُنْ بإمكانِهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، ولكن هذا في ذاته لا شك أَنَّهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ؛ فَإِنَّهُ يَعِيدُ إلى

(١) نقل هذا حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما في «الدرر السنية» (٢/ ٢١١) وقال عقبه تعليلاً لفعله: (تمريناً لهم على نفي الشرك بِلين الكلام).

النُّفُوسِ رَشَدَهَا، وَيُوقِظُهَا مِنْ غَفْلَتِهَا، نَعَمْ .. اللهُ خَيْرٌ مِنْ زَيْدٍ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؟ [النمل: ٥٩] فَلِمَ لَا يُدْعَى وَحْدَهُ؟ وَلِمَ لَا يُلْجَأُ إِلَيْهِ دُونَ مَا سِوَاهُ؟

فَلَمَّا مَكَرَنَ اللهُ ﷻ لِلشَّيْخِ؛ هَدَمَ هَذِهِ الْقُبَّةَ - وَغَيْرَهَا - بِيَدِهِ، وَهَذَا هُوَ الْحَزْمُ.

وَوَضِعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
مُضِرًّا، كَوَضِعَ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

فإنه لما وصل إلى القبة المذكورة، بعد أن فتح الله لدعوته القلوب - ومعه أمير العيينة وجم غفير من الناس - قال لهم: «أعطوني الفأس». فهدمها بيده حتى سواها بالأرض^(١).

وَمِنْ شَوَاهِدِ انْتِهَاجِ مَسَلِكِ الْحِكْمَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ: مَا كَانَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ وَأُيُمَّةُ الدَّعْوَةِ مِنْ أَسْلُوبٍ مُمَيِّزٍ فِي تَأْلِيفِ الْمُخَالَفِينَ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، لَا سِوَمَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يُرْجَى فِيهِ الْخَيْرُ.

فَهَا هُوَ الْإِمَامُ الْمَجْدِدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَكْتُبُ مُنَاصِحًا إِلَى شَخْصٍ أَلْفَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ وَعَادَاهُ؛ فَيَقُولُ لَهُ: «فَإِنِّي أُحِبُّكَ

(١) انظر: عنوان المجد (١/ ١٠ - ١١).

في الله، وقد دعوت لك في صلاتي، وأتمنى من الله من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينك القويم، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله»^(١).

وها هو يبعث إلى أحد الذين عانى منهم مُعانة شديدة فيقول له: «إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك من أجلّ النَّاس وأحبهم عندي»^(٢).

ومن دقيقٍ ما يتجلى فيه انتهاج الحكمة في هذه الدعوة المباركة: العناية عند تأصيل مسائل التوحيد بالنقل عن شتى المذاهب، لإلزام أهل كلِّ مذهب بكلام علماء مذهبهم، وهذا كثير في تقريرات أئمة الدعوة؛ حتى إن الإمام المجدد رَحِمَهُ اللهُ قد قال: «أنا أخاصم الحنفية بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كلاً أخاصمه بكلام المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم»^(٣).



(١) انظر: «الدرر السنية» (١/٤٣).

(٢) انظر: «الدرر السنية» (٨/٥٩).

(٣) انظر: «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ» (المجلد ٧ - القسم ٥/٣٨).

السمة الخامسة لهذه الدعوة المباركة

أنها جمعت بين تأصيل الحق ورد الباطل؛ فلم تقل
كما قال غيرها: بين الحق واطمض، ولا تُفِرِّق النَّاسَ!
كلا؛ لقد أبانت الحق بتفصيله، ثم وقفت ولم
تمض؛ بل خاضت جولةً أخرى في تزييف الباطل ونقض
شبهاته، ﴿وَلِتَسَيِّبَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

مِنَ الدِّينِ كَشَفُ السِّتْرِ عَن كُلِّ كَاذِبٍ
وَعَن كُلِّ بَدْعِي أَتَى بِالْعَجَائِبِ
فَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ لَهُدِّمَتْ
صَوَامِعُ دِينِ اللَّهِ مِن كُلِّ جَانِبٍ^(١)

إن عناية هذه الدعوة بكشف الشبهات ودفع
التلبيسات له أثره العظيم في الثبات والرُسوخ، ولا غرو

(١) بعد توفيق الله وإعانتة.

بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقِفَ الْعَامِي مِمَّنْ تَرَبَّى فِي هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ
الْحَكِيمَةَ أَمَامَ عَالَمٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْبِدْعَةِ فَيَدْمَغُ حُجَّتَهُ
وَيَكْشِفُ شُبُهَتَهُ.

هَذَا وَقَدْ تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ أَيْضًا: بِكُونِهَا وَاجِهَةٌ
أَعْدَاءُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ صَنَفٍ، وَنَازِلَتِهِمْ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ؛ فَلَمْ
تَدْعُ مُبْطَلًا يَنْشُرُ بَاطِلَهُ - غَلْظًا أَوْ خَفًّا - إِلَّا وَكَانَ لَهَا يَدٌ
فِي صَدِّ عُدْوَانِهِ وَكَفِّ شَرِّهِ، جَزَاهُمْ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ
الْجِزَاءِ.



السمة السادسة لهذه الدعوة المباركة

أنها دَعْوَةٌ عِلْمِيَّةٌ؛ إذ العِلْمُ: هو البَصِيرَةُ الَّتِي يَشُقُّ الدَّاعِيَةُ طَرِيقَهُ بِهَا.

وهذه الدعوة الإصلاحية المباركة قد قامت بحمد الله ﷺ دعوةً علميةً منهجيةً سلفيةً، قامت بسببها نهضةً علميةً غيرُ مسبوقَةٍ في القُرُونِ المتأخِرةِ، وبعثت بسببها كُتُبَ السَّلَفِ وأئمةِ التَّحْقِيقِ بَعْدَ أن اندثرت أو كادت، كما أنها زينت مكتباتِ العِلْمِ بنتاجٍ وفيرٍ مِنَ المَوْلفَاتِ والرسائلِ؛ من المَخْتَصِرَاتِ والفتاوى والردود التي دَبَّجَهَا أولئك الأعلام وبلغت العشرات، وفي طليعتها السُّفْرانِ العَظِيمَانِ: الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ، ومجموعةُ الرِّسَالِ والمَسَائِلِ التَّجْدِيَّةِ.

وأئمة الدعوة لهم في التَّصْنِيفِ منهُجٌ مُتَمِيزٌ؛ إذ لم يَكُونُوا يُؤَلَّفُونَ عن تَرْفِ عِلْمِيٍّ أو مَبَاهَاةٍ في التَّصْنِيفِ،

إنما كان ذلك منهم تابعاً للمصلحة ولما تقتضيه الحاجة، ولذا جاءت مؤلفاتهم سهلةً مفهومةً بعيدةً عن التَّكْلِيفِ والتَّعْقِيدِ، مُتَمِيزَةً بالدِّقَّةِ والتَّحْقِيقِ، أَقْبَلَ عَلَيْهَا مَنْ قَرَأَهَا بِشَغَفٍ وَنَهَمٍ؛ فَأَمْتَعَتْهُ بِالْعِلْمِ الصَّافِي الْمَبْرَأِ مِنَ الزَّيْفِ.



السمة السابعة لهذه الدعوة المباركة

أنها دَعْوَةٌ اجتمعَ فيها المصحفُ والسَّيفُ، واتحدتَ فيها السُّلْطَةُ مع العِلْمِ، فانتصرت - فضلاً من الله - بالحُجَّةِ البالغة والحسامِ المظفر، حتى إن الولايةَ فيها أضحوا من كِبَارِ الدُّعَاةِ إلى التوحيد، وهذا شَيْءٌ نَادِرٌ في هذه العُصُورِ المتأخِّرة، وإنه لمن تَوَفِيقِ الله، ومن أسبابِ تمكينها في الأرضِ وذُيُوعِ نفعِها وانتشارِ خيرها.



آثار هذه الدعوة في العالم الإسلامي

أمّا عن آثار هذه الدعوة المباركة في العالم الإسلامي :

فتحسن الإشارة إلى أن الدعوة إلى التوحيد نَهَجٌ لم تنفرد به تلك الدعوة الإصلاحية، لأنّ هذا النّهج هو الحقُّ الذي حمّله العُدول عن العُدول في كلِّ زمان، ولست أزعّم أن كلَّ أثرٍ للسُّنة والتوحيد خلال القرنين الماضيين هو أثرٌ لهذه الدعوة، لكن والحقُّ يُقال: هيّ واحةٌ في طريق الدعوة وارفئةً، ثمارها يانعةٌ، وخيرها وفير.

وغير خافٍ أنه ما سمع بها أحدٌ من المنصفين - قرب أو بُعد - إلا وتأثر بها أو أيدها.

فها هي الحِجَاز لما بلغها صدَى الدعوة أجاها علماء مَكّة، بشهادةٍ تضمنت تأييدهم لهذه الدعوة جُملةً

وتفصيلاً، ودَوَّنُوا شَهَادَةً قالوا فيها: «نشهد - ونحن علماء مكة، الواضِعُونَ حُطوطنا وأرقامنا في هذا الرِّقَم - : أنَّ هذا الدِّين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ ودَعَا إليه إِمَام المسلمِين سُعود بن عبد العزيز - من توحيد الله ونفي الشُّرك الذي ذَكَره في هذا الكتاب - أنه هُوَ الحَقُّ الذي لا شَكَّ فيه ولا رَيْبٌ»^(١).

ولعلماء المدينة شَهَادَةٌ مماثلة^(٢).

وَمَا هِيَ مِصْرٌ لَمَّا بَلَغَهَا صَدَى الدَّعْوَةِ أَجَابَ
عُلَمَاؤُهَا وَعُقَلَاؤُهَا بِمَوَافَقَتِهِمْ لَهَا.

فهذا مُؤرِّخ مِصْرَ عبد الرحمن الجبرتي بعد أن سَاق في تاريخه رسالةً للإمام المجدِّد عَقَّبَ بقوله: «إِنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَهَذَا مَا نَدِينُ اللهُ بِهِ نَحْنُ أَيْضًا، وَهُوَ خُلَاصَةُ بُبَابِ التَّوْحِيدِ، وَمَا عَلَيْنَا مِنَ المَارِقِينَ وَالمُتَعَصِّينِ»^(٣).

وَمَا هِيَ العِرَاقُ لَمَّا بَلَغَهَا صَدَى الدَّعْوَةِ شَدَّ
المُنْصِفُونَ مِنَ عُلَمَائِهَا فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ؛ فَهَذَا عِلَامَةٌ

(١) انظر: الدرر السنية (١/٣١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٣١٦).

(٣) «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» (٣/٤٠٣).

الموصل الشيخ عبد الله الحَسُو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «فالدِّين الحق والتوحيد الخَالِص هو دِينُ اللهِ، وما الوهَابِيُّونَ^(١) وتَابِعُوهُمْ إلا دُعاة إلى دِينِ اللهِ الخَالِص، لا إلى دِينٍ اخترَعوه كما يزعمُ بعضُ المفتريين عليهم من المغرضين الذين أضلهم الله على علم بسبب بغيهِم وجَهلِهِم، والله المستعان»^(٢).

وها هي الشَّام لما بلغها صدى الدعوة؛ أنصفها المنصفون من علمائها وأدبائها، فهذا الأديبُ مُحَمَّدُ كُرْد علي يقول: «وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلالِ وساقهم إلى الدين السَّمح»، ثم قال: «وقد اخترنا عامتهم وخاصتهم سنينَ طويلة، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلوة، وما يتهمهم به أعداؤهم؛ فزوروا أصل له»^(٣).

وها هي اليمن لما بلغها صدى الدعوة؛ ناصرها كبار علمائها وسادة فقهاها كالصنعاني والنعمي والشوكاني، حتى إن هذا الأخير أنشأ قصيدةً في مدح الإمام المبجل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال فيها:

(١) استعمل الشيخ عبد الله هذا الوصف تنزلاً مع ما تواضع عليه خصوم الدعوة من وصف دعاة التوحيد بالوهابيين، وكأنهم توهموه وصفاً مُنفراً!!

(٢) شرح البراهين المهدية إلى العقائد المنجية (١٢٥).

(٣) القديم والحديث (١٧٣).

إِمَامُ الْهُدَى مَاجِي الرَّدَى قَامِعُ الْعِدَا
 وَمُرْوِي الصَّدَى مِنْ فَيْضِ عِلْمٍ وَنَائِلِ
 إِلَى عَابِدِ الْوَهَابِ يُعَزِي وَإِنَّهُ
 سُلَالَةٌ أَنْجَابِ زَكِي الْخَصَائِلِ
 لَقَدْ أَشْرَقَتْ نَجْدٌ بَنُورِ ضِيَائِهِ
 وَقَامَ مَقَامَاتِ الْهُدَى بِالذَّلَائِلِ (١)

وها هي فارس لما بلغها صدى الدعوة؛ فرح بها علماء
 السنّة، وأنشد في الثناء عليها العلامة ملاً عمران بن علي بن
 عمران أبياتاً كثيرة، ومنها القصيدة المشهورة^(٢):

إِنَّ كَانَ تَابِعُ أَحْمَدٍ مُتَوَهَّبًا
 فَأَنَا الْمُقَرَّرُ بِأَنْبِي وَهَابِي

وها هي الهند لما بلغها صدى الدعوة؛ تقبلها
 المنصفون من علماءها بقبول حسن، وقاموا في الدفاع
 عنها بكل نشاط؛ فهذا الشيخ السهسواني - من كبار
 علماء الهند - يقول: «والشيخ رَحِمَهُ اللهُ [يريد الإمام المجدد]
 لا يُعرفُ له قول انفرد به عن سائر الأمة، ولا عن أهل
 السنّة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب

(١) هي قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت، أوردها ابن قاسم في الدرر
 السنية (١٦/٣٤٠ - ٣٤٦)، وانتخب منها هذه الأبيات المذكورة.

(٢) أوردها الشيخ ابن سحمان في: الهدية السنية (١١٠ - ١١٢).

- أعني مَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ،
وتوحيد العمل والعبادات - مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ،
لَا يُخَالِفُ فِيهِ إِلَّا مَنْ خَرَجَ عَنْ سَبِيلِهِمْ وَعَدَلَ عَنْ
مِنْهَا جِهَهُمْ»^(١).

أَمَّا الْمَغْرِبُ فَلَهَا شَأْنٌ آخَرٌ؛ إِذْ تَأَثَّرَهَا بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ
الإِصْلَاحِيَّةِ بَلِغٌ شَأْوًا أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ هَرَمَ
الدَّوْلَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُرَاسَلَاتٍ مَعَ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ وَلِقَاءَاتٍ،
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الْمَعْتَنِينَ مَا حَصَلَ مِنْ تَأَثُّرِ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ
وَقِنَاعَةِ بِهَا مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ
وَابْنِهِ سَلِيمَانَ وَابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلِيمَانَ، فَكُتِبَتْ بِذَلِكَ
صَفْحَةٌ مُشْرِقَةٌ مِنَ الدَّعْوَةِ السَّلْفِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ.

وَرَحِمَ اللَّهُ عَلامَةَ الْمَغْرِبِ تَقِي الدِّينِ الْهَلَالِي إِذْ
قَالَ^(٢):

نَسَبُوا إِلَى الْوَهَّابِ خَيْرَ عِبَادِهِ
يَا حَبِذَا نَسَبِي إِلَى الْوَهَّابِ
اللَّهُ أَنْطَقَهُمْ بِحَقِّ وَاضِحٍ
وَهُمُّوْ أَهَالِي فَرِيَةٍ وَكَذَابِ

(١) كتابه: صيانة الإنسان (٤١٩).

(٢) الحسام الماحق لكل مشرك منافق (١٣٤).

أَكْرِمَ بِهَا مِنْ فِرْقَةٍ سَلَفِيَةٍ
 سَلَكْتَ مَحَجَّةَ سُنَّةٍ وَكِتَابِ
 وَهِيَ الَّتِي قَصَّدَ النَّبِيُّ بِقَوْلِهِ
 هِيَ مَا عَلَيهِ أَنَا وَكُلُّ صِحَابِي



خاتمة

وبعد.. فإذا كان هذا الحال وقت قيام الدعوة وبُعيد نُشوتها؛ فإنَّ الأمر في الوقت الحاضر أضحى - بحمد الله - أكثر إشراقًا؛ فقد أقبل النَّاس عليها - بحمد الله - من أرجاء المعمورة، وانقشعت غياهب الجهل بها والكذب عليها لدى كثير من النَّاس، ولم يزل طلابُ العلم يَغرِفون من عذبتها النَّمير، وليس هذا شيئًا عَجيبًا؛ إنما العجيبُ حَقًّا أن أعداءها قد انتفعوا بها وإن لم يشعروا؛ فإنه بعد بُزوغِ شمسِ هذه الدعوة أضحَت مؤلفات أهل البدع تتحفِّظ كثيرًا، وتحتاط كثيرًا؛ بل قد تتبرأ من بعض الأخطاء أحيانًا، وهذا يُدركه من سبر حال القوم، وهذا من عجيب شأن الحق؛ فشأنه قد يتأثر به بوجه من الوجوه وإن كان قاليًا له.

أسأل الله جلَّ في علاه أن يجزي أئمتنا - أئمة الدعوة -

عَنَّا وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَنْ يَرْفَعَ دَرَجَتِهِمْ فِي
الْمَهْدِيِّينَ، وَأَنْ يَرْزُقَ دُعَاةَ الْيَوْمِ حِرْصًا عَلَى التَّوْحِيدِ
كَحِرْصِهِمْ، وَهَمَّةً كَهَمَّتِهِمْ، وَنَشَاطًا كَنَشَاطِهِمْ، إِنَّ رَبَّنَا لَسَمِيعُ
الدُّعَاءِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ .



فهرس المحتويات



الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	السمة الأولى لهذه الدعوة المباركة
١٢	السمة الثانية لهذه الدعوة المباركة
١٣	السمة الثالثة لهذه الدعوة المباركة
١٤	السمة الرابعة لهذه الدعوة المباركة
١٧	السمة الخامسة لهذه الدعوة المباركة
١٩	السمة السادسة لهذه الدعوة المباركة
٢١	السمة السابعة لهذه الدعوة المباركة
٢٢	آثار هذه الدعوة في العالم الإسلامي
٢٩	خاتمة
٣١	فهرس المحتويات

